دار الـــوثـــائـــق
الـــقـــومـــيـــة
بـــالـــقـــاهـــرة

الأرشيف السري

محفظـة رقـم
١٤٥٤

وثيقة رقم (٦٣١)

المصدر: دار الوثائق القومية / القاهرة
وحدة الحفظ: الخارجية المصرية/ الأرشيف السري الجديد/ محفظة رقم ١٤٥٤
ملف رقم: No. 113.125/1
الملف الداخلي: ٣/٣
رقم الإفادة: ٤
نمرة التصدير:
رقم القيد:
عدد المرفقات:
تاريخ الوثيقة: ١٩ يناير سنة ١٩٣٩م (٢٩ القعدة سنة ١٣٥٧هـ)

موضوع الوثيقة:

بشأن: زيارة الوزير المصري المفوض بجدة لجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود في نجد.

نص الوثيقة:

وزارة الخارجية
المفوضية الملكية المصرية
بمدينة جدة

حضرة صاحب الدولة وزير الخارجية

أتشرف بأن أعرض على دولتكم أنني بعد أن استأذنت جلالة الملك عبدالعزيز بواسطة وزارة خارجيته في السفر إلى نجد للقائه، تفضل فأمر بأن أكون ضيفاً لجلالته من وقت قيامي من جدة إلى أن أعود إليها. وقد استغرقت الرحلة إلى المخيم الملكي على حدود الكويت ذهاباً وإياباً نحو عشرين يومًا، قطعت فيها نحو أربعة آلاف كيلومتر في طرق غير ممهدة، وقضيت أربع عشرة ليلة في الطريق.

وكانت تصحبني سيارتان وثلاثة لوريات وأربعة وعشرون نفراً، ولم تدخر الحكومة السعودية من وسائل الراحة والكرم شيئاً، ولا بد أن تكون الرحلة قد كلفت الحكومة السعودية أكثر من خمسمائة جنيه.

ولما وصلت إلى المخيم استقبلني جلالة الملك بعد ساعة من وصولي واحتضنني وفرح بمقدمي، ثم أخذ يسأل عن أحوالي وتلطف كثيرًا ولم يطل الحديث، ثم توالت بعد ذلك المقابلات وفي المقابلة الثانية اغتنمت فرصة في الحديث لأهاجم دعوة تسيء كثيراً لمصر مع أنه مشكوك في نفعها وعلى كل حال لم يحن زمنها، تلك هي مسألة الخلافة فإن أعمال البر التي تقوم بها مصر في الشرق كله من الصين إلى المغرب الأقصى والدعوة الصالحة الإسلامية والنهضة المباركة الثقافية مما أظهر فضل مصر وحبب الناس فيها، وقد أخذت بعض الصحف المصرية وغيرها من حين إلى حين تنشر أشياء عن الخلافة وعن رغبة المصريين في أن يكون ملكهم خليفة للمسلمين، فظن الناس في كل مكان أن سياسة مصر قد اتجهت لهذه الغاية وأن أعمال البر والمعاونة الأدبية والدينية التي تبذل في كل مكان إنما يراد بها اصطياد المسلمين في حبائل الخلافة، والسعوديون حساسون جداً من هذه الناحية ويخشون عواقب هذه الدعوة.

قلت لجلالة الملك: إنني طفت أكثر بلاد المسلمين ولم أر أمة تفعل الخير لمحض الخير ويساء فهمها كما وجدت مصر، فقد ذهبت للأفغان في العام الماضي وحاولت جلب طائفة من الطلاب الأفغانيين لتعليمهم مجاناً في مصر ووافقت فعلاً حكومة الأفغان فقيل إن ذلك للخلافة، وسعينا مساعي مشكورة لتقريب الشيعة والسنة من المسلمين فقيل للخلافة، وخدمنا العراق خدمات جليلة بتقديم ما يحتاج إليه من معلمين وأطباء ومهندسين وبذلنا لهم المال فقيل للخلافة، ودافعنا عن فلسطين فقيل للخلافة، وآوينا المغاربة فقيل للخلافة، وها نحن ندفع مائة ألف من الجنيهات للبر في مشاريع مكة ونقرض الحكومة السعودية ١٤٥ ألف للطرق فيقال للخلافة: فإذا سئمنا وامتنعنا عن البر والسعي المشكور قيل لا خير فيهم هم أغنى المسلمين وأكثرهم علمًا وأقلهم نفعًا، فاستمر الملك منصتًا على خلاف عادته لأنه يقاطع المتكلم أحياناً.

فقلت: والحقيقة إن ملكنا فاروق ملك صالح محبوب من قومه ومن المسلمين، فإذا كانت الخلافة توصل لهذا الحب فهو متمتع به ولا ينقصه إلا أوزارها، وهي أن يدعي المسلمون علينا حقوقاً لا قبل لنا بها، فإذا جاءت الحاجة لم نجد إلا أنفسنا

لنعتمد عليها بعد الله، وقد جاهدنا الإنجليز ستين سنة فلم نجد عون أحدٍ من المسلمين، فما فائدة الخلافة لمصر.

ليس في مصر عاقل يريد أن يحمل الفاروق أوزار أمر يتمتع اليوم بثمراته دون أن يكون عليه من وزره شيء،ولا نحن بأغرار لندعي للمسلمين أننا نستطيع حمايتهم، فما يذاع في الصحف عن هذا الأمر من وقت لآخر إنما هو أقوال صحف.

والحقيقة أن مصر تقصد ببرها مجرد البر، ولا شك أنه يعود عليها بحب المسلمين وعطفهم ويرفع شأنها وهيبتها في الشرق وهو مسعى مشروع لا يعترض عليه، فقال جلالته إن هذه أقوال تقال وأنه لا يظنها صحيحة، وعلى كل حال فهو لا يخرج عن شيء يتفق المسلمون عليه وهو لا يكون في أولهم وإذا اتفقوا لا يخالف.

فقلت: إنني أؤكد لجلالته أن مصر تريد الخير لذاته وتريد في البلاد المقدسة الأمن وحرية العقائد المذهبية . وجلالتكم كان لكم الفضل العظيم في جمع شتات الأعراب وتنظيم الأمن مما شكركم عليه المسلمون أجمعون.

قلت: إنه ما دام جلالة الملك قد وفقه الله لتحقيق هذين الغرضين فليس له صديق أفضل من مصر.

فقال: إنني ولله الحمد قد سهرت على هذا وعلى السلم مع جميع جيراني وجميع الناس، فغايتي الأساسية هي السلم، ومادام في استطاعتي أن أحتفظ به ولو بشيء من التضحية فإنني لا أتأخر.

فقلت: إن جلالة الملك عبدالعزيز قد امتاز بالعقل الراجح والسداد في الرأي، فهو يدرك نعمة السلم وقد آتاه الله التوفيق فها أنا قد اخترقت الجزيرة العربية من غربها لشرقها ونعمة السلم والأمن قد شملتها وطالما دعوت له في طريقي، وقال: إنك لو تعلم قلة الوسائط التي بيدي لأدركت عظيم المهمة التي أقوم عليها. فقلت: إنني رجل قضيت شطرًا من حياتي في البادية وقدت البدو وقاتلتهم؛ لذلك فإني كما تعلم جلالتكم من المقدرين لمجهودكم والمعجبين بكم من زمن طويل.

فقال: إنني أعتبرك واحداً من أبنائي وأعرف غيرتك العربية والإسلامية. ثم قلت: يا جلالة الملك، إن مستشاريك يناقشون كثيراً في ما تريد مصر من مشاريع الإصلاح والعمران للحجاز، ويخلقون من الحبة قبة والأمر في غاية البساطة، جاء رجل إلى آخر فقال له: سأبني لك بيتاً حسب المواصفات التي توافق عليها ثم أدفع خمس تكاليفه وأقرضك الباقي مقسطًا على سبع سنين، وأسلمك البيت بمجرد تمام بنائه ملكاً خالصاً لا دخل لي به . فعجب المقترح عليه من كرم المقترح، ولما كنا نعيش في عالم سوء أخذت الوساوس طريقها إلى نفسه؛ لأنه استعظم أن يفعل مثل هذا لوجه الله. فأخذ يناقش ويقيم العراقيل بدل أن يقبل بالشكر ما عرض عليه، وانقلب الوضع فأخذ المحسن يجهد نفسه ليدل على حسن نيته، هذا هو الوضع الذي جئت فوجدت عليه المناقشات بين الخارجية السعودية والمفوضية المصرية بالنسبة لمشاريع المياه والنور لمكة والطريق للمدينة وجدة وعرفات.

فضحك الملك، وقال: أنا وكلتك عنا بدل مستشاري، فقلت: يا جلالة الملك هذا هو الوضع المشكل، وأنا قد حللت الإشكال مع فؤاد حمزه بك والشيخ يوسف ياسين (وكان جالساً) بأني قلت: إني متأسف لأن المصريين في طول السنة التي دامت فيها المناقشة لم يفطنوا إلى أن أخصر الطرق لإثبات حسن نيتهم هو سحب الاقتراح، وإلا فهل من المعقول أن يقبل المصريون تحمل المسئولية كاملة أمام الحكومة السعودية ثم يدخلون بعد ذلك في مفاوضات بشأن الإشراف على الأعمال، فلو أرسلت جلالتكم أحد قوادك لعسير وأمرته أن يفعل كيت وكيت وحملته المسئولية ثم أرسلت وراءه آخر وأمرته بطاعته على أن يستمر حاملاً للمسئولية ألا يكون أول واجب لهذا القائد أن يستقيل؟ فقال جلالته: إنني أريد أن تجتمع مع يوسف وخالد على أنكم عائلة وإن اختلفوا معك أخذت برأيك أنت مفوض أنت منا.

فقلت: وأنا أعد جلالتكم أنني لا أطلب إلا الحق. ثم أذن لي وانصرفت، واجتمعت بعد ذلك بالمندوبين وأخذنا المسائل واحدة واحدة وانتهينا إلى اتفاق مبدئي واختلفنا بعد ذلك في بعض الصيغ، فحكم جلالة الملك بقبول رأيي ثم أصررت على أن يحتفظ للمشروع بصفة البر الدائم بحيث لا يتخذ وسيلة للبلدية أو أي دائرة حكومية لزيادة الإيراد. وبعد أخذ ورد في هذا وصلنا إلى الاتفاق

وأقرت الصيغ كما وردت في المشروع الذي بعثته لدولتكم والذي قبلته الحكومة السعودية بصفة نهائية، وعلقت أنا قبوله نهائيًّا على موافقة الحكومة المصرية.

ثم خرجنا في اليوم الثاني للقنص في ركب جلالة الملك وسرنا عائدين إلى الرياض فقطعنا مرحلتنا في ثلاثة أيام، وفي الرياض أنزلني جلالة الملك في قصره الخاص وقال: إن عبدالرحمن منا فيلزم أن يسكن في بيتنا لاكآثلون ولا بولارد ولا غيره. يشير إلى الأول أوف آثلون ووزير إنجلترا المفوض اللذين أنزلا في قصر البديعة خارج الرياض.

وقد كنت في الأيام الخمسة التي قضيتها في القصر موضع الرعاية السامية فكنت أصلي الفجر مع جلالته بين أولاده في مسجد القصر. وكذلك المغرب كل يوم، وأحضر الدرس الخاص في الحديث والتفسير والتاريخ بعد صلاة العشاء، وكذلك مجلس جلالته مع أمراء آل الرشيد وآل عايض ومشايخ مطير وعتيبة والعجمان من أبناء الدويش وابن بجاد وابن حثلين، وكل هؤلاء من الإمارات والمشيخات العظيمة التي قضى على زعمائها ويربهم وبأولادهم وأهلهم بعد أن غلبهم. وكلما استأذنت للسفر قال: لم العجلة؟ إننا مشتاقون لك. وأخيراً قال: إمّا أن تولم لي وليمة في هذا القصر لأنك من أصحابه وإما إن أولم لك؛ لأنني أيضاً من أصحابه؟ فقلت: إن كرم الملك عبدالعزيز أصبح مضرب الأمثال وأنا اقتداءً بكرمه أولم له. فقال كل منا يؤدي ما عليه فأنا أعزمك وأنت تعزمني.

فدعاني جلالته إلى وليمة عظيمة وتعشينا وقضينا سهرة مؤنسة، ودعوته بعد ذلك وتركت لجلالته أن يختار الضيوف فاختار سبعة بينهم أخوه وولي عهده وابنه الأمير منصور .وتعشينا على سماط في غرفة من غرف الجناح الذي أسكنه. وبعد العشاء أراد جلالته أن ينصرف فقلت: لابد من القهوة، فضحك كثيراً وقال: هكذا قلت، ولكن هؤلاء المستشارين (يريد رجال الديوان) هم الذين استعجلوا. وناديت على القهوة على عادة أهل نجد وضحكنا وشرب جلالته القهوة وودعته إلى الناحية الأخرى من القصر.

وقد كانت بالطبع طول الأيام أحاديث كثيرة مع جلالة الملك وحكايات رواها عن تاريخه وعن أعماله دونت بعضها، ولا يسع المقام التوسع في ذكر ما

قيل ولم تعي الذاكرة كذلك كثيراً منه، وما ذكر هنا هو على قدر الإمكان تصوير للحالة وتلخيص للمهم من الأقوال. وأرجو أن أجد فرصة أخرى لأن دعوتي فجأة للاشتراك في محادثات فلسطين تحول دون الإفاضة في وصف هذه الرحلة الطويلة الشاقة. فقد استفدت كثيرًا بالقرب من جلالة الملك واطلعت على نواح من حياته الخاصة، كما استفدت من زيارة البلاد والاختلاط بالبدو والحضر من أهلها.

ولما أخبرت جلالة الملك بعزمي على السفر معتذراً بحاجة المفوضية لعودتي وورود الحجَّاج وقرب وصول ولي العهد سمو الأمير محمد علي أذن بالسفر، وقال: بالطبع ستتقابل قبل رحيلك مرة أخرى، وأرسل ورائي هدية جاء بها ناظر خاصته وقال: إن هذا السيف من سيوف آل سعود يهديه لك جلالة الملك، وهو سيف مذهب أو فيه شيء من الذهب قيمته الكبيرة في المعنى الذي ذكره ناظر الخاصة، فكررت الشكر، وفي الصباح ذهبت لقصر الحكومة وودعت جلالة الملك والأمير سعود ورجال الحاشية. وعدت بقافلتي فوصلت مكة بعد مسيرة أربعة أيام.

ومنذ قيامي من جدة إلى عودتي إليها لم أكلف شيئاً، بل إن جميع البرقيات التي أرسلتها إلى مصر وللمفوضية دفعت أجرتها الحكومة السعودية ولم تقبل أن أدفعها، ولا شك أنها كلفت مبلغاً كبيراً ولم يكن لي سبيل إلا الإحسان لخدم القصر ولرجال القافلة جميعًا بما ظننته مناسباً.

وبعدما شاهدت من الكرم أصبحت أخجل من المناقشة في مسألة الشيخ فوزان الخاصة بعدم إعفائه من السفر مجاناً على السكك الحديدية المصرية. فأرجو أن يمنح الامتياز الذي كان له.

وتفضلوا يا صاحب الدولة بقبول أسمى عبارات الاحترام.

الوزير المفوض
عبدالرحمن عزام

